المبحث الثَّانِي

مصادر الصورة عند الشاب الظريف

{اولا} القران الكريم:

يعد القران الكريم مصدرا من مصادر الصورة عند الشاب الظريف من خلال الاقتباس او الاستلهام لبعض تلك الصور موظفا اياها في رسم صوره معززا دلالاتها. وربما كانت تلك الصور مجرد اشارة الى بعض المواقف المعبرة التي يعتمد عليها في تجسيد صوره كقوله في اشارة الى قصة نبي الله ابراهيم واحراقه بالنار.

نار الهوى ليس يخشى منك قلب فتى

يكون فيه لابراهيم أرجاءُ[1]

ولا يخفى ما في هذه الصورة من تاثر بالاية **الكريمة** ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[2]، فكانت هذه الصورة بمثابة الخلفية لتلك الصورة. وكما ان النار كانت بردا وسلاما على نبي الله ابراهيم (عليه السلام)، فان نار الهوى التي يعاني منها ستكون بردا وسلاما عليه لا يخشى شيئا منها. معللا ذلك بوجود ممدوحه الذي اسمه ابراهيم ايضا. فكان للتورية دورها في عملية الترابط بين الصورتين، وما ان تتطلع او تطالع هذه الصورة حتى تقفز الى ذهنك تلك الصورة وقد اشار الشاعر اليها اشارة وترك المتلقي يرسم ملامح هاتين الصورتين فالقت تلك المعجزة ظلالها على صورة الشاعر وممدوحه، والملاحظ ان النار في الآية الكريمة حقيقة حسية والنار في صورة الشاعر غير حقيقية معنوية مبالغة في المشاعر وفي وصف حاله وكأن للهوى نارا احرقته فلم تذر من روحه الا الرماد لولا ممدوحه الذي باستطاعته ان يخمد جذوتها. فكانت النار عنصرا ترابطيا في هذه الصورة مضافا الى التورية سواء في هذه الصورة او الصورة الاخرى التي يرسمها معتمدا قصة نبي الله ابراهيم (عليه السلام) ولكن هذه المرة اعتمد صورة النار في عظمها واستعارها وتلهبها وشدة احراقها.

(1) الديوان: 30.
(2) الانبياء: 69.

ليس خليلا لي ولكنه

اضرم في الاحشاء نار الخليلِ[1]

ومن استفهاماته الاخرى التي يصور بها حالة القطيعة والجفاء والمد والجزر وحالة الوصال ودوام العهد، فاذا غضبوا انقطعت تلك العهود ولو ردوا لخلقهم لعادوا اليها:

عُرَيْب كان لي معهم عهود

ظننت بقاءها ولهم ودادُ

عهدت لديهم خلقا جميلا

وقد غضبوا ولو ردوا لعادوا[2]

وهي صورة مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [3] فاقتطع الشاب الظريف خبرا من هذه الصورة التي نزلت في الكافرين وعودتهم الى ما نهوا عنه، فاخذ صورة الارتداد والعودة وصنع لها اطارا خاصا به وهو في اغلب الاحيان يوظف تلك الصور تبعا للمعاني التي يريد ان يعبر عنها فيرسم صورا على غرار تلك الصور مع اختلاف في الرؤية والمغزى. كتوظيفه لسورة المسد لرسم صورة اخرى مختلفة عن الصورة الاولى.

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه

ما كان في خده القاني ابو لهبِ

تبت يدا عاذلي فيه فوجنته

حمالة الورد لا حمالة الحطب[4]

وهي صورة مستقاة من قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [1] وقد

(1) الديوان: 281.
(2) الديوان: 123.
(3) الانعام: 28.
(4) الديوان: 92.

اعتمد الشاب الظريف بعضا من معاني هذه السورة (ابو لهب، تبت يدا، حمالة الحطب) ليرسم منها صورة مقابلة لها جمال الفم والخد الاحمر القاني ووجنته حمالة الورد. مع البون الشاسع في المغزى والرؤية الجديدة التي تناول بها تلك الصورة مع بعض اللمسات من خلال توظيف الكناية عن الحمرة بابنة العنقود واستعمال التورية بوصف خده والحمرة التي فيه بابي لهب والتي يقصد بها النار الحمراء المستعرة فيه لا الشخص في الصورة التي اخذ عنها فضلا عن ذلك فوجنته الموردة حمالة الورد لا حمالة الحطب.

ولنبي الله موسى عليه السلام وقصته مع فرعون وتكليمه الله سبحانه وتعالى وقصته مع اهل القرية دور في رسم الصورة عنده.

وطرفه الساحر منذ شككتم في امرهِ

يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره[2]

فطرفه الساحر يسلب العقول قبل القلوب بسحره حتى يهيم اصحابها في البلاد ويفسر ذلك قوله:

وعجبت منك بكل وادٍ هائمٍ فيهم وما من شأنك الإشعارُ[3]

حتى اصبحت:

اوطانه ليست باوطان اذا غبتم وليس ربوعه بربوعِ[4]

وفي هذه الصورة اشارة الى المحاورة بين فرعون ونبي الله موسى واتهامه اياه بالسحر وانه انما جاء لاخراجهم من ارضهم كما في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[5] وقد اتخذت هذه الصورة شكل الاقتباس بالنص بعد ان كانت الصورة تعتمد الاشارة والتلميح. ومن صوره الاخرى قوله:

ولما بدت في طور خدك جذوة ولاحت لقلبي عاد وهو كليمُ[6]

---

(1) سورة المسد: 1-5.
(2) الديوان: 178.
(3) الديوان: 150.
(4) الديوان: 209.
(5) سورة الشعراء: 35.
(6) الديوان: 301.

فشبه خده بالطور في انحنائه وقد لاحت من سفحه جذوة نار كناية عن الاحمرار في خديه، وهذه الصورة عندما تمثلها قلب الشاعر عاد وهو كليم – أي مجروح – وفي الصورة تورية فلا يقصد بالكليم نبي الله موسى وهي مستوحاة من قصة الله موسى الكليم عليه السلام بعد ان عاد باهله من مدينة مدين عندما انس نارا وكلم الله سبحانه وتعالى على طور سيناء ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [1]. ومن صوره الاخرى قوله هاجيا قرية اسمها قطن موظفا قصة موسى والخضر (عليهما السلام) مع اهل القرية:

لا طل صوب الغوادي ساحتي قطنا

ولا رعى الله في ارضها قطنا

ما انصفوا الخضر الباني جدارهم

لما اراد ان ينقض حين بنى

فاستطعما اهلها موسى وصاحبه

فلم يضيفوهما شيئا فكيف لنا

هجاهم الله في القران فاهجهم

والعنهم الدهر واشكر كل من لعنا[2]

فاستلهمت هذه الصورة معطياتها من تلك الصورة، والرابط بينهما صفة البخل وشدته عندهم، فلم يجد افضل من تلك القصة ليجعلها خلفية لصورته مع ايجاد شكل من التمازج بينهما من خلال حديثه عن هذه القرية وكانها القرية نفسها التي استطعم اهلهَا موسى وصاحبُه فلم يضيفوهما وهم من هم في منزلتهم وعلو شانهم فكيف به هو مع شدة بخلهم وهي صورة ماخوذة من قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [3].

- ومن الصور الاخرى بين طيات ديوانه قوله:

(1) سورة القصص: 29.
(2) الديوان: 327 – 328.
(3) سورة الكهف: 77.

وبي ظبي غرير في حماكم

له حسن على قلبي عزيزُ

فميت حبه يرجو نشورا

اذا لم يأت من خلق نشوزُ[1]

فبقوله ظبي غرير رسم صورة لجماله وشبابه واستعمل الاستعارة بان جعل الحب يموت وينشز، وفي هذه الصورة اشارة الى قصة العزيز مع حماره عندما اماته الله مئة عام ثم اعاده فاعاد بعث الحمار امامه ليتاكد من عظمة الله سبحانه وتعالى، واجتزء الشاب الظريف منها انشاز عظام الحمار حال بعثه كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾[2] وعند التجوال في ديوانه نطالع صورا اخرى مستقاة من القران الكريم:

ما اسكتتني بالمعروف منه يد الا وسرح تسريحا باحسانِ[3]

وتقنع منك الروح لمح توهم فتحيا بها الاعضاء وهي رميمُ[4]

اعيذه من ناظري بقُلْ هو الله أحدْ[5]

او قوله :

---

(1) الديوان: 182 ، النُّشُوزُ يكون بين الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه واشتقاقُه من من النَّشَزِ وهو ما ارتفع من الأَرض ونَشَزَت المرأَةُ بزوجها وعلى زوجها تَنْشِزُ وتَنْشُز نُشُوزاً وهي ناشِزٌ ارتفعت عليه واستعصت عليه وأَبغضته وخرجت عن طاعته وفَرَكَتْه، لسان العرب: مادة (نشز)، 6 / 4425.

(2) البقرة: 332.

(3) الديوان: 274 الصورة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ {البقرة:229}.

(4) الديوان: 300، الصورة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ {يس: 78}.

(5) الديوان: الملحق 367، الصورة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ **الإخلاص: ١**

اهيـــــــف كالبـــــــدر يصـــــــلي فـــــــي قلـــــــوب النـــــــاس نـــــــارا

يمـــــــزج الخمـــــــر بفيـــــــهِ فتـــــــرى النـــــــاس ســـــــكارى[1]

وربما اتخذ من صفات بعض الانبياء التي وردت في القرآن اساسا لصورته:

صدت بلا سبب عني فقلت لها

يا اخت يوسف مالي صبر ايوبِ[2]

[ثانيا]المصادر التراثية:

ان المصادر التراثية تعد مصدرا آخر من مصادر الصورة عند الشاب الظريف، وتشتمل على الصور المستقاة والمستلهمة من اشعار من سبقه من الشعراء او بعضا من الامثال الموروثة التي وظف بعضا منها لرفد جانب الصورة، وربما كان لصفات بعض الاعلام دورها في عملية الرسم تلك و ((العودة الى القيم الفنية الشعرية الموروثة ليست انكفاءة او رجعة، انما هي احياء لكل ما اثر عن الماضي الشعري من معطيات فنية ايجابية وهي تطوير للغة الشعر كما انها اضاءة وتعميق لرؤية الشاعر واحساسه بالاستمرار والتواصل الفني، فالشاعر عندما يتوجه الى معطيات موروثه الادبي فانه لا يعمد الى الافادة الجامدة التي تدخل في باب التكرار والتقليد، وانما يهدف الى اعادة صوغ تلك المعطيات بما يثري عمله الجديد ويجعله صالحا للتعبير عن قضاياه المعاصرة))[3]، ولعل الشاب الظريف حاول ان ينحى هذا المنحى فيخرج الى معطيات جديدة من ذلك الموروث ليثري عطائه الفني، كأن تكون صورة في المديح فيوظفها في الغزل او ينميها، فهذه العملية انما هي ((استيحاء للمناخ التصويري الذي كنا نراه في شعر الماضي))[4]والمناهج المعاصرة رأت ان الموروث يعيش في النص وهو يعد ظاهرة طبيعية، وهذه بعض تلك المعطيات الموروثة التي تناولها في شعره :

---

(1) الديوان: الملحق 370، الصورة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ **الحج: ٢.**

(2) الديوان: 81.

(3) دير الملاك ((دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر)) د. محسن اطيمش، اطيمش، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، ط2: 222.

(4) المصدر نفسه: 334.

وكم قد نضا سيفا بكف كريمة

فاحسن وضع السيف في موضع الندى[1]

فالمتنبي يقول ان لكل مقام مقال ولكل زمن رجال وان للعلى مواضع متباينة بين السيف والندى فيجب وضع كل واحد منهما في موضعه لئلا ينقلب الامر وبالا على صاحبه لكن الشاب الظريف له نظرية خاصة به في هذا المجال فيما ان يده كريمة وهي موضع الندى وهذه اليد هي نفسها التي تنتضي السيف ؛ لذلك فقد احسن ممدوحه في وضع السيف في موضع الندى واثبت هاتين الصفتين وتلازمهما في ممدوحه بشكل دائم، وهذه الصورة ليست تكرارا جامدا وانما توظيف لمعطياتها في اطار جديد.

وتطالعنا صورة اخرى في المديح هي قوله:

وانك ابن جلا لكن عرفت فلا

تلق العمامة انى يجهل القمرُ[2]

وهي صورة اطارها العام صورة قديمة مأخوذة من قول الشاعر سحيم عبد بني الحسحاس الرياحي :

انـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا متـــى اضـــع العمامـــة تعرفـــوني[3]

والشاعر في هذه الصورة يفخر بنفسه فتناولها الشاب الظريف في رسم صور لممدوحه وقد نمى هذه الصورة واحسن صياغتها، فضلا عن وصف ممدوحه بالشجاعة ووصفه بحسن الطلعة من خلال تشبيهه بالقمر، واذا كانت صورة الفخر غير واضحة حتى يلقي عمامته فانه جعل ممدوحه من الشهرة بمكان حتى ان صورته تعرف من دون الحاجة الى ان يلقي عمامته.

وكرر شاعرنا الاخذ من هذه الصورة، وكانه اعجب بها، ولكن هذه المرة في الغزل وليس الفخر او المديح، ومستعملا التورية في إضفاء بعض الرتوش والضربات عليها:

---

(1) الديوان: 129.
(2) الديوان: 154.
(3) ديوان سحيم عبد بني الحساس الرياحي، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1987م، ط2: 51/1 وينظر الوسيط في الامثال لابي الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي (ت468) تح. عفيف محمد عبد الرحمن. مؤسسة دار الكتب الثقافية، 1395-1975م: 71.

جـــلا ثغـــرا واطلـــع لـــي ثنايـــا يســـوق الـــى المحـــب بهـــا المنايـــا

وانشـــد ثغـــره يبغـــي افتخـــارا انـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا[1]

وصورة اخرى ماخوذة من من قول ابي تمام:

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاولِ[2]

- فصورة الحب الاول ثابتة وان تنقل الفؤاد في مواطن الهوى واقام في منازله وشاعرنا يرسم صورة لهذا الحب في مهده وعذريته لم يدنسها أي حب اخر فهو ثابت من غير ان يجرب غيره او ان يدعوه الى ذلك كما فعل ابو تمام لكي يعرف قيمته، وهذا هو موطن الاختلاف بين الصورتبن فيقول في ذلك:

واليك اول ما انثنيت مع الهوى

ان الحبيب هو الحبيب الاولُ[3]

ومن الصور التراثية الشعرية الاخرى صورة في المديح للاعشى "ميمون بن قيس":

تشب لمقرورين يصليانها

وبات على النار الندى والمحلقُ[4]

مدح بها المحلق ورسم صورة لكرمه، فناره لا تنطفي ابدا في تلك الليلة شديدة البرودة، وفي تلك الصورة ايضا اثنان حول النار ينعمان بدفئها فباتوا عليها مع المحلق والندى رابعهم فتناول الشاب الظريف صورة المقرورين ليرسم منها صورة في الغزل لوجنة محبوبه واحمرارها الذي يشبه النار في توهجها، وخاليه في وجهه وكانهما المقرورين الذين يصطليان بتلك النار.

(1) الديوان: 347.
(2) شرح ديوان ابي تمام، ضبط معانيه وشرحها ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت. ط1، ط1، 1981: 764.
(3) الديوان: 253.
(4) ديوان الاعشى الكبير. ميمون بن قيس شرح وتعليق د. محمد حسين، مكتبة الاداب المطبعة النموذجية د-ت: 325.

واهيف فاق الورد حسنا بوجنة

انزه طرفي في رياض جنانها

كأن بها من حَوْل خاليه جمرة

تشب لمقرورين يصطليانها[1]

وربما تطالعنا صور شعرية اخرى كمثل قوله:

وتغير الرسمان جسمك والحمى

(لا انت انت ولا الديار ديار) [2]

وقوله :

(اوطانه ليست باوطان اذا)

غبتم وليس ربوعه بربوعِ[3]

أو قوله :

(على ان ايام الوصال ودائع

ولا بد يوما ان ترد الودائع) [4]

وقد يكون للامثال دور في رسم بعض الصور في شعر الشاب الظريف كقوله:

مالك قد احل قتلي برمح الـ

---

(1) الديوان: 338.

(2) الديوان: 149، وهي مأخوذة من قول ابي تمام (ينظر شرح ديوان ابي تمام: 273):
لا انت انت ولا الديار ديار خف االهوى وتولت الاوطار

(3) الديوان: 209، وهي ماخوذة من قول ابي تمام ايضا (ينظر شرح ديوان ابي تمام865)
لا تركن الى الدنيا وزخرفها فان اوطانها ليست باوطان.

(4) وقد نقل هذه الصورة وهذا البيت بالكامل من لبيد بن ابي ربيعة وقد وردت ودائع الاولى في في شرح الديوان وعيار الشعر بلفظة وديعة، ينظر شرح ديوان لبيد بن ابي ربيعة تح – احسان عباس، سلسلة وزارة الارشاد، الكويت، 1962م: 170 وينظر عيار الشعر 91 وهي ودائع في الصناعتين:256 والشعر والشعراء: 170 واسرار البلاغة 115.

ـقد منه وراح قلبي طعينه

ليس يفتي سواه في قتل صب

كيف يفتى ومالك في المدينةْ[1]

- فمالك قلبه احل قتله برمح قده الذي اصابه، فهو الوحيد الذي يفتي في قتله، ولاكمال الصورة اورد المثل القائل ((لا يفتى ومالك بالمدينة))[2].

ومن هذه الصور تطالعنا صورة لتكلف من تكلف في اعانته على نوائبه فيقول له استرح ولا تتعب نفسك لان ((النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة))[3]. فياخذ هذا المعنى ويضع له اطاره بقوله:

هون عليك من التكلف واسترح

ليس الفقيد كمن ينوح بجعلهِ[4]

فاستعمل اداة التشبيه بالكاف لرسم هذه الصورة بين من ينوح على الفقيد من صلة رحمه او من ينوح عليه باجرة ؛ لان الجرح لا يؤلم الا من به الم، ووجه الشبه بين الصورتين هو النياحة على الميت.

وصورته اخرى له وهو يداري اهل محبوبته ؛ لانه واقع في هواها مع ان اهلها هم اعدائه فيوظف التكثيف والايجاز ليرسم ملامح تلك الصورة:

داريت اهلك في هواك وهم عدى

ولاجل عين الف عين تكرمُ[5]

---

(1) الديوان: 328.
(2) لم اعثر على تخريج {ويضرب هذا المثل بحق امام اهل المدينة في عصره مالك بن انس ﷺ - صاحب المذهب المشهور – والذي بلغ درجة من العلم حتى ضرب به المثل في الافتاء}.
(3) مجمع الامثال: ابراهيم ابو الفضل احمد بن حمد النيسابوري الميداني، دار الفكر د-ت: 200/2.
(4) الديوان: 279.
(5) الديوان: 308.

فاستعمل المعطيات التراثية للمثل القائل (لاجل عين الف عين تكرم)[1]لاكمال تلك الملامح الملامح ومن المعطيات الاخرى قوله:

ولو ان قسًّا واصف منك وجنة

لاعجزه نبت بها وهو باقلُ[2]

فصورة المحبوب وجماله تعجز افصح الفصحاء وتعيي ابلغ البلغاء وان كان قس بن ساعدة الايادي الذي يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة، فانه سيعجز عن وصفها، وقد استعمل التورية في اكمال الصورة، ففضلا عن استعماله للاسم العلم في هذه الصورة فقد ذكر باقل ليس في اشارة الى المعنى القريب الذي هو النبت وانما اشارة الى باقل الذي يضرب به المثل في العي (اعيا من باقل)[3]، فهذا العلم في الفصاحة امام وجنته سيصبح اعيا من باقل، وقد استعمل الاسم العلم الاول مع شخصية وعلم اخر هو قيس بن الملوح الذي يضرب فيه المثل في الحب والجنون ليرسم صورة لفصاحته ومنطقه وهيامه وانه اعلى رتبة من هذين العلمين:

قسني وقسا وقيسا منطقا وهوى

وانصف تجد رتبتي من دونها الرتبُ[4]

- وقد تطالعنا صور اخرى لاعلام اخرى كالقبائل او اسماء الكتب او المصطلحات البلاغية والعروضية او العقائدية:

النضر من اعطافه وكنانة

بلحاظه ولمهجتي هو هاشم[5]

او قوله :

---

(1) لم اعثر له على تخريج في كتب الامثال، وقد ورد في قول سعيد بن حميد:
العسر أكرمُه ليسرٍ بعده... ولأجل عينٍ ألف عينٍ تكرمُ، المنتحل، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ، تحقيق الشيخ أحمد أبو علي (المتوفى:1936م)، المطبعة التجارية – الإسكندرية، 1319 هـ - 1901 م : 104.

(2) الديوان: 244.

(3) مجمع الامثال: 43/2.

(4) الديوان: 48.

(5) الديوان 289، يقصد قبائل النضر وكنانة وبني هاشم.

يا زهرة الآداب من لطفه

وجدي فيك المثل السائرُ [1]

غادة وعدها مجاز ومن ذا

يترجى حقيقة من مجازِ[2]

يا وافر الهجر الطويل تولهي

خبب الا وعد يجود سريعهُ[3]

وافى بشوق نحوكم مديده

سريع وجدٍ فيكم طويلهُ[4]

وما بال برهان العذار مسلما

ويلزمه دور وفيه تسلسلُ[5]

[ثالثا] الطبيعة والبيئة:

يمكن ان نعد الطبيعة بتشكيلاتها والبيئة التي عاشها الشاعر من اهم المصادر التي اغنت اشعاره فجاءت بمرتبة متقدمة ولاسيما في غرض الغزل. وهذا عائد الى نشأته والبيئة التي ترعرع فيها [بلاد الشام ومصر] وهي بلاد غنية بمفردات الطبيعة التي نهل من منابعها رسوماته، وقد وردت اشارات لتلك المناطق مع دعائه لها بالسقيا ؛ لانها عزيزة على قلبه:

يا قطر عم دمشق واخصص منزلا

(1) الديوان: 155 ، يقصد بها كتاب زهر الاداب للقيرواني وكتاب المثل السائر لابن الاثير.
(2) الديوان: 183 ، المجاز احد مواضيع البلاغة.
(3) الديوان: 205، الوافر الطويل والسريع بحور عروضية.
(4) الديوان: 258، المديد والسريع والطويل بحور عروضية.
(5) الديوان: 242، الدور والتسلسل مصطلحات عقائدية.

في قاسيون وحله بنباتِ[1]

ويقول ايضاً :

اذا سقى حلب من مزن غادية

ارضا فخصت باوفى قطره حلبُ [2]

والدعاء لها بالسقيا لكي تزدان اكثر ويحصل الخصب في منازلها، ولعل ذكره لمصرلا يبدو كما الشام في اشعاره لارتباطها بمرحلة مبكرة من حياته لذلك فهي ترتبط بصورة الشوق والحنين:

يا ساكني مصر شمل الشوق مجتمع

بعد الفراق وشمل الوصل اجزاءُ[3]

وربما كان لمعطيات الموروث دورها في هذا المجال، فاصبحت صور الطبيعة والبيئة تخضع لتلك المعطيات، فهي لا تختص بشاعر معين وانما هي صور عامة اصبحت مطبوعة في اذهان اغلب الشعراء كوصف الممدوح بالليث في الشجاعة والبحر في الجود كقوله:

الليث من امامه وورائه والبحر بين يمينه وشمالهِ[4]

- او تشبيه جوده بالغيث كقوله:

لابي المعالي راحة وكافة كالغيث يوم بروقه ورعودهِ[5]

- او تشبيه ممدوحه بالشمس كقوله:

اذا سطى قلت يا اسد العرين قفي

وان بدا قلت يا شمس الضحى غيبي [6]

- او ان السحب تخجل من جوده ونداه كقوله:

---

(1) الديوان: 99.
(2) الديوان: 49.
(3) الديوان: 30.
(4) الديوان: 277.
(5) الديوان: 141.
(6) الديوان: 82.

اغر ما ابدت السحب الحيا لسوى

تقصيرها عن نداه حين ينهمل[1]

او قوله :

وتخجل السحب من اكفهم

من اجل هذا تبدي الحيا السحب[2]

اشار الجرجاني الى تشبيه العرب لجمال المحبوب او لواحظه بالغزال او الظبي او الرشا[3]وقد شبه الشاب الظريف محياه بالبدر والهلال والقمر والكواكب والشمس وشعره بالليل، وكالروضة في الجمال، وخديه وقامته كالفضة.

وقد يستعمل بعضا من مفردات البيئة كادوات القتال المتعارف عليها في بيئته كتشبيه نظراته بالسهام والحاظه بالسيوف الصوارم وقامته وقده بالقنا الاملد، وبالمطر ومبسمه بالخمر وقد شبه لحاظه بها وثناياه كالدر، وصدغيه كالعقرب، ومحياه بدر ومبسمه عذب، وغيرها من الصور التي هي في اغلبها استلهام لمعطيات موروثة متعارف عليها وهي كلها مظاهر للطبيعة كان لها دور بارز كمعلم لابراز صورة الجمال بتفاصيله، وكان شاعرنا ماهرا في التعامل مع الصور من خلال وضعها في اطار جديد والباسها حلة زاهية قشيبة ملونة، ففي بعض الاحيان نراه يحشد جمعا من هذه المظاهر ليرسم منها مجتمعة صورة اكثر تالقا وبريقا، وقد وردت الاشارة الى بعض منها في بداية البحث وسنورد بعض الشواهد الاخرى:

مذ رأته الشمس في الحمل ... لم تكد تبدو من الخجلِ

غصن بان مثمرا قمرا ... يخجل الاغصان بالميل

ورد خديه يضرجه ... خجل من نرجس المقل

(1) الديوان: 250.
(2) الديوان: 44.
(3) اسرار البلاغة: 310.

وســـــــــوى ذا ان جســـــــــمه جـــــــامع للخمـــــــــر والعســـــــل

مـــــن مجيـــــري مـــــن لواحظـــــه اننـــــي منهـــــا علـــــى وجـــــل

كلمـــــا ســـــلت صـــــوارمها قـــــال قلبـــــي قـــــد دنـــــا اجلـــــي[1]

والصورة الاولى هي للشمس وهي خجلى منه ومن جمال طلعته ؛ لانها ابهى واروع وهو في الوقت نفسه غصن بان مثمر قمر، فيشبه قامته بالغصن المثمر ووجهه من فوق هذا الغصن بالقمر وكانه اثمر قمرا، ونراه يكرر هذه الصورة في مواضع اخرى كقوله:

يـــا قـــوم شـــفني وجـــدي ببـــدر دجـــى علـــى قضـــيب اراك نـــاعم نضـــرِ[2]

او قوله :

واقبل تحت الشعر كالبدر في الدجى

على مثل غصن البانة المتاوِدِ[3]

ويشبه هذه الصورة شيئين بشيئين الوجه بالبدر والقامة بالغصن. وربما شبه شعره بالليل ووجهه بالبدر:

ابدى محياه واسبل شعره

والبدر يحسن في الظلام طلوعهُ[4]

- وقد شعره بالليل ووجهه بالصباح كقوله:

فيا شعره هل فيك ليلي ينقضي

ويا صبحه هل فيك صبحي باسم[5]

(1) الديوان: 267 – 268.
(2) الديوان: 172.
(3) الديوان: 141.
(4) الديوان: 204.
(5) الديوان: 305.

وصورة اخرى مضافة لهذه الصور هي صورة الخد المضرج بالحمرة خجلا من عيونه البيضاء وكنى عنها بالنرجس ولونه الابيض فهي دائما بيضاء يلونها احمرار الخجل، وقد تقترن الحمرة بالنار كقوله :

يا جامع الضدين في وجناته

ماء يشف عليه نار تضرمُ [1]

- وقد تقترن بالدماء لتخضيبها بدماء المحب من مهجته التي اصابتها سهام العشق كقوله:

بوجنتيك التي خضبتها بدمي

واشرقت باحمرار من دم المهجِ[2]

فضلا عن ذلك فان جسمه جامع للعسل في حلاوته وللخمرة في صفائها ورقتها ولحاظه، وهي توقع العشاق في شباكه وكانها سيوف قد سلت لقتلهم:

- وقد يرسمم صورة لجسمه ولحظه موظفا اكثر من تشبيه في بيت واحد كقوله:

فللقنا وللنقا قوامه وللظبي وللظبا كحيلهُ[3]

- وفي صورة اخرى للجمال نراه يعمد الى تحشيداته مرة اخرى فيقول:

مليح جلا لي ضوء بدرٍ كماله

ولكن اراني يوم بدر بهجرهِ[4]

وقوله: يوم بدر كناية عن احوال الفراق والهجر التي يعانيها فهي كاحوال الحرب:

امير جمال ما انتضى سيف ناظر

على عاشق الا وقام بنصرهِ

غزال غزا قلبي بفاتر طرفه

(1) الديوان: 308.
(2) الديوان: 109.
(3) الديوان: 259.
(4) الديوان: 180.

واحرق احشائي ببارد ثغره

وقد كان عهدي الدر في البحر قبلما

رايت رضابا يجري بدره[1]

وقد ينوع في هذه الصور كأن يجعل للقمر نجم الثريا قرطا، والخد كالكافور عليه الجلنار وحاله كانه المسك فيه، وشفاهه نار ومبسمه جنة مزاجها خمر وعسل' وهو كالبان والغصن اذ يهتز ناعمه، والكواعب كالاقمار والاغصان والخدود كالشعاع والقدود كالبان ثماره الرمان ووجنته كانها الفضة[2]، وله عبير يفضحه عند مسيره في الظلام كقوله:

رعى الله ليلا زارني فيه والدجى

يكتمه لولا تضوع نده [3]

وسبقه البحتري بقوله:

حاولن كتمان الترحل في الدجى

فنم بهن المسك حتى تضوعا [4]

وقوله :

فكان العبير بها واشيا

وجرس الحلي عليها رقيبا [5]

وشاعرنا وان استعمل معطيات تراثية الا انه حاول ان يخرج بها الى صور جديدة غير مقلدة :

عـــــذيري فيـــــه مـــــن قمـــــر يريـــــك بخـــــده الزهـــــرهْ

(1) الديوان: 180.
(2) الديوان: 270.
(3) الديوان: 125.
(4) ديوان البحتري: 977/1.
(5) ديوان البحتري: 51/1.

اذا قـــــــــارن بـــــــــالأكؤس اذ يمزجهـــــــــا ثغـــــــــره

اراك الـــــــــذهب المصـــــــــري علـــــــى الفضـــــــة النقـــــــره[1]

او قوله موظفا الاستعارة بان جعل الوجد والشوق يتكلمان:

وخمري الخدود يزيد بعدي

وقلبي بالصدود كواه كيا

فقال الوجد يا نار استزيدي

وقال الشوق للاجفان هيا[2]

وربما استعمل مفردات مرت عليه من الطبيعة او البيئة كقوله في وصف نهر القصير:

يا حبذا نهر القصير ومغربا

ونسيم هاتيك المعالم والربا

وسقى زمانا مر بي في ظلها

ما كان اعذبه لدي واطيبا[3]

وقد يستخدم الرمز المستوحى من تلك الصور كقوله:

قامـــــت حـــــروب الزهـــــر مـــــا بـــــين الريـــــاض السندســـــيهْ

واتـــــت جيـــــوش الآس تغـــــ ـــــزوا روضـــــة الـــــورد الجنيـــــهْ

لكنهـــــــا كســـــــرت لان الـــــــورد شـــــــوكته قويـــــــهْ[4]

(1) الديوان: 163، النُّقْرَةُ من الذهب والفضة القِطْعَةُ المُذابَةُ وقيل هو ما سُبِكَ مجتمعاً منها والنُّقْرَةُ السَّبِيكَةُ، لسان العرب: مادة (نقر)، 6 / 4519.
(2) الديوان: 348.
(3) الديوان: 68.
(4) الديوان: 352.

وربما لجأ الشاب الظريف الى حالات ومفردات من البيئة في رسم بعض الصور او نقلها كما في قوله يصف الطاعون :

اراك تشم الخل في زممن الوبا

فخل حديثا للاطباء ياخلّي

فان يك بالطاعون ربك قد قضى

تموت اذا رغما وانفك في الخلِّ[1]

فنقل صورة للناس اثناء الوباء وهم يضعون انوفهم في الخل خوف العدوى.

او يذكر مثلا الصوفي او كما يسميه انذاك بالقلندري وصفته (وهم فرقة من الصوفية):

هويت من ريقته قرقف

وماله في ذاك من شاربِ

قلندريا حلقوا حاجبا نه

كنون الخط من كاتب

سلطان حسن زاد في عدله

واختار ان يبقى بلا حاجب[2]

وقد وظف التورية في قوله "حاجب" و "حاجب" ليقوي هذه الصورة ويزيد تاثيرها في المتلقي، وقد يرسم صورة لبعض الاشخاص والمهن التي كانت سائدة في عصره ليتخذ منها صورا في الغزل كقوله في عجانة:

علق الفؤاد بظيبة عجانة

ما كنت يوما آمنا من هجرها

(1) الديوان: 272، الخل: الخل عصير التمر بعد تخميره- وخل الثانية فعل امر بمعنى دع او اترك – والثالثة بمعنى الخليل او الصاحب.

(2) الديوان: 91.

عجنت فؤادي بالغرام فماؤها

من ادمعي ودقيقها من خصرها[1]

ولا يخفى ما في صورة الغزل من جمالية اعتمدت في تشكيلاتها على مهمة العجانة وهذه الصور كثيرة في شعره فنراه يستخدم مفردات عدة من البيئة ليرسم صورا في الغزل كصورة الكفتي (صانع الكباب)[2] والنحوي[3]. والبخانقي[4] والسماك[5] والمليح الذي في وجهة حب الشباب[6] والقاضي[7] والزجاج[8] والمنير[9] والمؤذن[10]، والداية[11]، والرسام[12] والمقرئ[13] وغيرهم او بعض الادوات كالسكين[14] والمقراض[15]، او الحشيشة (المخدر الذي كان سائدا في عصره) اذ يقول فيها يرسم صورة لمن يتعاطاها:

(1) الديوان: 177.
(2) الديوان: 309.
(3) الديوان: 92.
(4) الديوان: 96، والبخنق: خرقة تتقنع بها الجارية، الصحاح في اللغة والعلوم، نصيف نديم مرعشلي-اسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية-بيروت، ط1، 1974 باب بخنق.
(5) الديوان: 102.
(6) الديوان: 137.
(7) الديوان: 148.
(8) الديوان: 156.
(9) الديوان: 157.
(10) الديوان: 157.
(11) الديوان: 198.
(12) الديوان: 307.
(13) الديوان: 325.
(14) الديوان: 229.
(15) الديوان: 234.

ما للحشيشة فضل عند اكلها

لكنه غير مصروف الى رشده

صفراء في وجهه خضراء في فمه

حمراء في عينيه سوداء في كيده[1]

فيعتمد على الالوان كلية في رسم هذه الصورة كما هي الحال في اغلب صوره. هذه الصور وغيرها شكلت معينا مهما في تكامل الصورة واتمامها عند الشاب الظريف والتي وظفها في اغلب الاحيان في التغزل ووصف الجمال اينما كان برؤيته الخاصة لها حتى برزت اغلب هذه الصور في ديوانه فتحس انك امام معرض للجمال والصور القائمة عليه، وهي في اغلبها مستمدة من الطبيعة والبيئة.

(1) الديوان: 144 – 145.